

الخلفية التاريخية لظهور الإرشاد و التوجيه

أ. موسي محمد جامعة سيدي بلعباس

تمهيد:

يستخدم الإرشاد والتوجيه في مجالات مختلفة أهمها المجال المدرسي الذي يعتبر ميدانا مهما في فضاء العلوم التربوية قديما وحديثا وتنامت هذه الأهمية بازدياد المشكلات التربوية نتيجة لتطورات الحياة اليومية، كما يلعب الإرشاد والتوجيه دورا مهما في نجاح العملية التربوية داخل المؤسسات التعليمية وذلك بمساعدة التلاميذ على اختيار التخصصات التي تتناسب وتنماشى مع قدراتهم واستعداداتهم وميولاهم وكذا مساعدتهم على تخطي مشاكلهم داخل وخارج المدرسة بهدف تحقيق تكيف مدرسي يجنبهم بعض الأزمات كالتأخر والتسرب المدرسي، أو بمعنى آخر هو بمثابة الخدمة النفسية التي توجه إلى الفرد والجماعات الذين مازالوا قائمين في المجال السوي، ولم يتحولوا بعد إلى المجال غير السوي.

و هكذا يبقى الإرشاد النفسي أحد الخدمات النفسية التي تقدم للأفراد والجماعات بهدف تجاوز الصعوبات التي تعترض الفرد أو الجماعة، وتعوق توافقهم وإنتاجيتهم، مرتكزا بذلك على جملة من الأسس والمبادئ التي يقوم عليها من مراعاة لمبدأ حق الفرد في تقرير مصيره بنفسه وذلك بترك الفرصة للتلميذ في اختيار التخصص الذي يرغب فيه دون إكراه أو أمر أو نهي مع الأخذ بعين الاعتبار الاستعدادات وقدرات التلميذ.

1- التطور التاريخي للإرشاد والتوجيه:

تعتبر العملية الإرشادية والتوجيهية قديمة قدم العلاقات الإنسانية، غير أن هذه العملية لم تمارس في إطار علمي نظري، وإنما كانت عبارة عن أفكار فلسفية فقط. وكعلم ارتبط الإرشاد و التوجيه مع انفصال علم النفس عن الفلسفة وإنشاء أول مخبر لعلم بألمانيا 1879 ومنذ ذلك الوقت أخذ الإرشاد والتوجيه تعاريف ومفاهيم مختلفة من توجيه مهني إلى توجيه عام فعلاج نفسي متخصص. نشأ الإرشاد النفسي في أحضان حركة التوجيه المهني والتربية المهنية، وعلى الأصح فقد نشأ من التقاء هذه الحركة مع تيارات وحركات أخرى منحصرة في العلاج النفسي والخدمة النفسية.

و قد كان للتطورات الاقتصادية التي شهدتها أوربا والولايات المتحدة وما ترتب على ذلك من ردود أفعال اجتماعية وإنسانية فضلا في ظهور أولى بوادر هذا المجال، خاصة على المستوى الفردي وعلى المستوى الاجتماعي والتربوي، بحيث اتخذت معا فيما أطلق عليه روكول Rockwell الكاليدوسكوب Kaleidoscope والذي نسميه اليوم

الإرشاد النفسي Counseling

وكان الجو معبأ بضرورة ظهور الخدمات التي تواجه الآثار التي تركتها الثورة الصناعية الثانية على الصعيدين الإنساني والاجتماعي، وتهيئ الجو أيضا للاقتناع بضرورة دراسة المشكلات الاجتماعية دراسة علمية شأنها في ذلك شأن المشكلات الفيزيائية.

وقد ساعد التوجه الخاص بإخضاع المشكلات الإنسانية والاجتماعية للدراسة العلمية على تدعيم خدمات الإرشاد النفسي، وكان **"لايتر ويتمر" Lighter Witmer** قد افتتح العيادة النفسية الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1896، وأنشأ تخصص علم النفس الإكلينيكي، وباتت الأذهان متقبلة للخدمة النفسية ومقتنعة بها ،حتى أن **"كليفورد بيرس" Clifford Beers** أثار ضجة كبرى عندما نشر مذكراته التي تمثل خبرته مع المرض النفسي في كتابه **"العقل الذي وجد نفسه"** عام 1908 وقد وصف في الكتاب كيفية المعاملة السيئة والخشنة والعلاج غير الكفاء الذي يلقيه المرضى في مستشفيات الأمراض النفسية، وقد كان الكتاب بمثابة الشرارة الأولى لتطور حركة الصحة النفسية، والتي أثارت العديد من الدراسات حول الأشخاص الذين لديهم مشكلات سلوكية، وكانت هذه بداية إرشاد الصحة النفسية **Mental Health Counseling**.

وقد أظهرت نتائج الدراسات التي أجريت على الأطفال من ذوى المشكلات ضرورة توفير خدمات الإرشاد النفسي لكل الأطفال في المدارس، وقد تطور إرشاد الصحة النفسية وأصبح جزءا أساسيا من المجرى الأساسي لمهنة الإرشاد النفسي، ولقد كان تأثير الحرب العالمية الأولى **"1914-1918"**، وكذلك الحرب العالمية الثانية **"1939-1945"** وما حدث بينهما من أزمات اقتصادية وتدخل حكومي تأثير هائل في تطور الخدمات النفسية وعلى رأسها الإرشاد النفسي، خاصة في مجال إعداد الأدوات وكيفية استخدامها، فقد كان على الجيوش المحاربة أن تواجه الآلاف من الشباب الذي طلب أداء الخدمة العسكرية، وفرز الصالح منهم وغير الصالح لأداء الخدمة، ثم توزيعهم على الأعمال والمهام المختلفة.

وبذلك فإنه في ظل المجهود الحربي وتعبئة طاقات الدول المحاربة لكسب الحرب طورت أدوات ما كان من الممكن إعدادها في هذا الوقت القصير وتقنياتها على تلك الأعداد الضخمة لولا ظروف الحرب العالمية، وبذلك تم إعداد مقياس **"ألفا" (Alpha)** ومقياس **"بيتا" (Beta)** للذكاء في الجيش الأمريكي، وفي الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى تكاثر العديد المتنوع من هذه الأدوات، حتى أن المرشدين النفسيين لم يكونوا هم المنشئون الأساسيين لهذه الأدوات ،بل إنهم كانوا من مستخدميها فقط. وقد كان تكميم ذكاء الشخص وميله واستعداداته وتحصيله ومختلف جوانب شخصيته ومقياس هذه الجوانب قياسا أقرب إلى الدقة الكمية أساس طيب لصدق أحكام

المرشدين النفسيين على مفحوصيهم، ولذلك فليس من المستغرب أن التوجيه المهني والإرشاد النفسي أصبحا ملتصقين من البداية بحركة القياس النفسي. وأصبح القياس النفسي موجودا بشكل كلى وأساس في تصنيف العاملين في مجال الصناعة، وفي المجال التربوي، وفي مكاتب الإرشاد النفسي، وأصبحت معرفة هذه المقاييس وإتقان استخدامها والاستفادة منها جزءا أساسيا من تعليم وتدريب المرشدين النفسيين .

ولقد صيغت نظرية توجيهية في الإرشاد النفسي كان من أوائل الداعين لها "وليامسون 1939" (Williamson) وكما كان للحرب العالمية الأولى فضل في تطوير بعض الأدوات وكذلك في الحرب العالمية الثانية طور الجيش الأمريكي في هذه المرة "اختبار التصنيف العام للجيش A.G.C.T".

ومما لاشك فيه أن "كارل روجرز" Carl Rogers يعتبر أحد المعالم البارزة في مسيرة الإرشاد النفسي، وقد أثر روجرز بأفكاره ونظامه وممارسته في الإرشاد تأثيرا لا ينكر. وفكرة روجرز الأساسية والتي أتى بها إلى المجال وأكدها ووجدت أنصار كثيرين لها هي أن الأفراد لديهم القدرة على اكتشاف ذاتهم، وعلى وضع قراراتهم بدون أحكام سلطوية من المرشد، ومن تأثيرات روجرز أنه أدخل التسجيلات الصوتية والمرئية إلى جلسات الإرشاد، الأمر الذي لم يكن معروفا من قبل، وقد نشر روجرز أفكاره الأساسية في كتابيه "الإرشاد والعلاج النفسي: مفاهيم أحدث في الممارسة 1942، والعلاج المتمركز حول العميل عام 1951.

ولم يكن روجرز يرى ضرورة لتشخيص مشكلات العملاء، أو أن يزودهم المرشد بمعلومات أو توجيهات معينة، فقد أكد على أهمية العلاقة بين المرشد والعميل، وفي مفهومه يكون العميل أكثر أهمية من المرشد، وبهذا أصبح نظام روجرز يعرف "بالإرشاد النفسي غير المباشر أو غير الموجه Nondirective Counseling.

ومما لاشك فيه أن هذا المدخل قد أثر على مسيرة الإرشاد النفسي كعملية وكمهنة تأثيرا عميقا نجد آثاره إلى اليوم، وقد تخطت أفكار روجرز ميدان الإرشاد النفسي "الخاص" إلى مجال "العلاقات الإنسانية" في مجال التعلم، ومجال الأسرة، والعلاقات بين الزوجين، وكذلك في مجال العمل بين أصحاب العمل والعمال فيما يعرف الآن بعلاج العلاقات Relation Therapy .

وقد كانت الخمسينات والستينات من هذا القرن مسرح للجدال بين البرامج الإرشادية المعتمدة على نظرية روجرز المتمركزة حول العميل Client Centered في مقابل البرامج الإرشادية المعتمدة على نظرية العوامل والسمات Trait Factored. ومع مرور الوقت و معرفة أهميته و دوره البارز في الميدان أصبحت الحاجة إليه ملحة و ضرورة خاصة إذا ما علمنا أن أهميته تكمن في تقديم العون لمن يحتاج المساعدة

على فهم نفسه وتكيفه مع بيئته، وكيفية حل المشكلات واتخاذ القرار، وهو عملية واعية مستمرة ببناء ومخططة . وتكمن أهمية ذلك في أنه ضرورة من ضرورات الحياة العصرية، وواحد من مترتبات الحياة الإنسانية المتجددة على مر العصور، والإرشاد يساعد الفرد على أن يسلك بفاعلية وعقلانية، ويصبح أكثر استقلالاً، وأن يكون مسؤولاً عن نفسه ، وعلى إحداث تغيير إيجابي في سلوكه عن طريق فهمه لذاته ، وتحقيق الذات بالتحكم في العواطف السلبية المخيبة للذات مثل: القلق والشعور بالذنب، كذلك مساعدته في تغيير عاداته وسلوكه غير الفعّال، ومساعدته على اكتساب مهارات التواصل الشخصي الفعّال مع الآخرين وتعلّم استعمالها. أيضاً يساعد الإرشاد النفسي الفرد على تحقيق الصحة النفسية، والمقصود هنا بالصحة النفسية بطريقة أخرى أن يكون الفرد متوافقاً ومنسجماً نفسياً، ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين بحيث يكون قادراً على استغلال قدراته إلى أقصى حد ممكن، وقادراً على التعامل مع مطالب الحياة ومشكلاتها بسلوك فعّال سويّ. واستمر الاهتمام بالإرشاد النفسي بشكل واضح ، وذلك من خلال ازدياد عدد المرشدين ، وازدياد فرص تأهيلهم ، حيث مكنهم ذلك من شغل المراكز الهامة في حقل الإرشاد ، كما ازداد عدد الدوريات والكتب والدراسات في هذا المجال وما تقدمه من خدمات ، وهكذا استمر الحال بهذا العلم بالتقدم والتطور. و لقد مر الإرشاد والتوجيه في نشأته بمراحل وتطورات مختلفة وهي كالآتي:

2- مراحل الإرشاد و التوجيه:

2-أ-مرحلة التركيز على التوجيه المهني:

في هذه المرحلة كان يهدف إلى مساعدة الفرد على اختيار المهنة التي تتناسب وقدراته واستعداداته وميوله ودوافعه وخططه المستقبلية، أي آماله وتطلعاته من أجل إيساعده وتوفير له حياة ريفية والرفع من مرد ودية الإنتاج. كما أن التوجيه لم يظهر بصورة منظمة إلا مع صدور كتاب: «المرشد في اختيار المهنة» في فرنسا خلال القرن التاسع عشر الذي احتوى على بحوث في تحليل العمل والاستعدادات اللازمة للعمال (عبد الرحمن العيسوي، 2005: 22).

وكان المرشد في هذه الفترة مسيراً للعملية الإرشادية يهتم بالفرد في ميدان العمل وحل المشاكل وتنظيم الخدمات المهنية وتدريب الشباب على التخصصات المهنية. ويعتبر العالم **بارسونز parsons** الأب الروحي للتوجيه المهني والذي أشرف على إنشاء أول مكتب مهني ببوسطن في الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1908، وصاحب كتاب « اختيار المهنة » سنة 1909(رسمية علي خليل، 1968: 161).

إن ظهور التوجيه المهني أملتة عوامل متعددة كالتقدم التكنولوجي وظهور تخصصات مهنية معقدة وعدم استقرار العمال في المصانع مع السرعة في التغيير.(طه عبد العظيم حسين، 2004: 46).

إن أهم ما يميز هذه المرحلة أنها كانت تهتم بمشاكل العمل والتنظيم الخدمات المهنية وتدريب الشباب على الوظائف المختلفة ووقايتهم من الحوادث والمخاطر، إذ نجد في هذا الصدد إسهامات ج م. لاهي JM.lahague، وس. باكور WS.bakou، وبوناركل bonarkl. الذين بينوا توزيع الحوادث بين العمال المعرضين للأخطار المتشابهة والتي لا تقع لعمال الصدفة إطلاقاً بل للاستعدادات العمال المهنية التي يمارسها ويظهر هذا من خلال الملمح وكذا الكفاءات التي تجنبهم الأوضاع الخطيرة. (Maurice Reuchlin, 1978)

2-ب- مرحلة التركيز على التوجيه التربوي:

إن هذه المرحلة هي امتداد للتوجيه المهني، وكانت تهدف إلى مساعدة الطلبة على اختيار تخصصات في التعليم تتماشى واستعداداتهم وقدراتهم، وكذا مساعدة الطلبة للتغلب على مشكلاتهم داخل وخارج المؤسسة.

إن ظهور التوجيه التربوي جاء من الفراغ الحاصل بين المعارف التي يتلقاها التلميذ في المؤسسة وما هو واقعي، أي المجال المهني، ليصبح التوجيه أكثر شمولية ويتخلل عن المفهوم المهني متجاوزاً إياه إلى مفهوم تربوي يمس جميع جوانب التلميذ ، ويعتبر كيلى ترومان K.truman أول من أعطى مفهوم التوجيه التربوي على أنه مساعدة الفرد على اختيار التخصص الذي يتماشى واستعداداته وكذا مساعدته على حل مشاكله في خطوة أولى صحيحة قبل أن تأتي الخطوة الثانية لاختيار المهني الصحيح. (طه عبد العظيم حسين، 2004 : 44).

لقد ركزت هذه المرحلة على تناول الفروقات الفردية للأطفال وميولهم وخبراتهم وقدراتهم واستعداداتهم .

2-ت - مرحلة التركيز على حركة القياس:

لقد لعبت حركة القياس دوراً كبيراً في تطوير الإرشاد والتوجيه، وهذا من خلال دراسة الفروق الفردية بين الأفراد عن طريق الاختبارات والمقاييس النفسية ، إن توظيف القياس النفسي في الإرشاد تمثل في جمع المعلومات والحقائق المتعلقة بالفرد من حياته وظروف نموه ومدى تكيفه وتحصيله الدراسي أو نجاحه في مهنة ما . كما أن النتائج المحصل عليها من القياس لا تقيد المرشد فحسب بل حتى العميل لمعرفة استعداداته وميولاته من أجل اختيار الوجهة السليمة. (عبد الرحمن العيسوي، 2005 : 25) .

2-ث- مرحلة التركيز على التوافق والصحة النفسية:

تميزت هذه المرحلة بدراسة الجوانب المرضية في سلوك الفرد وهذا بعد تدهور الخدمات الصحية بمؤسسات الأمراض العقلية، وفي هذا الصدد كتب كليفورد

بيرز Clifford beerz لما كان نزيلا بمستشفيات الأمراض العقلية عام 1908 « العقل الذي اهتدى إلى نفسه » كما قام بإنشاء جمعيات خيرية للصحة القومية. كما دخلت في هذه المرحلة الخدمات الإرشادية إلى المدرسة وذلك من أجل إعداد التلميذ لتحقيق التوافق في الأسرة و المدرسة و المجتمع، كما كان للجمعيات أيضا دور في تحقيق الصحة النفسية والتوافق في الوظائف والمهن من خلال إشرافها على الخدمات الإدارية والتعليمية داخل المؤسسات التعليمية (رسمية علي خليل، 1968: 155).

2-ج- مرحلة الإرشاد النفسي:

لقد حدث تطور في بداية الثلاثينيات من القرن الماضي، و الذي صاحب مدارس علم النفس و أصبح يدرس المشكلات الشخصية للفرد. إن هذه الدراسات كانت مدعمة بجهود كارل روجرز من خلال وضعه لكتاب « الإرشاد والعلاج النفسي » عام 1942 وكذا من خلال نظريته: الإرشاد المتمركز حول الشخص والتي سوف نتناولها لاحقا.

و في المؤتمر الذي عقدته لجنة مختصة في سوسوتا قبيل انعقاد المؤتمر السنوي للرابطة الأمريكية عام 1951 أستخدم علم النفس والمرشد النفسي كما أنشأ قسم للإرشاد النفسي في الجمعية الأمريكية و آخر في الجمعية البريطانية وسبق هذا صدور مجلة الإرشاد النفسي عام 1945. (طه عبد العظيم حسين، 2004: 46)

إن أغلب ما يميز هذه المرحلة الاهتمام بكل الأفراد سواء الأسوياء أو غيرهم وجميع الفئات العمرية بحيث أصبح الإرشاد النفسي أرامهما في العملية التوجيهية كما يعتبر من أهم أساليب الإرشاد والتوجيه لفهم الفرد. و منه يمكن القول بأن الإرشاد والتوجيه تأثر بعدة تيارات مختلفة و مر بحقب وتسميات مختلفة بعدما أصبح علما قائما بذاته له أعلامه متخصصين مؤهلين، و بالرغم من تداخل هاذين المصطلحين مصطلح سواء من حيث المعنى أو العمليات التي يؤديها كل منهما، إذ كليهما يحمل من حيث المعنى الحرفي الاطلاع والتوعية ومساعدة الفرد على تخطي مشاكله التي تواجهه، كما أن كلاهما مكمل للآخر، إلا أن هناك فروق علمية دقيقة تفرق بين الإرشاد والتوجيه ويمكن تلخيص هذه الفروق في العناصر التالية:

3- الفرق بين الإرشاد والتوجيه:

- الإرشاد النفسي ما هو إلا علاقة بين المرشد والمسترشد قصد مساعدة هذا الأخير على حل مشاكله وتخطي الصعوبات التي تواجهه في مدرسة أو معمل بينما التوجيه هو عملية تتم بين الموجه ومجموعة من الأفراد تختلف باختلاف الأماكن الموجودة بها كموجه ومجموعة من التلاميذ في مدرسة ما أو موجه ومجموعة من العمال في مصنع ما (رسمية علي خليل، 1968: 04).

- يعتبر الإرشاد النفسي عملية تلي عملية التوجيه بمعنى أن التوجيه يقوم على إعطاء المعلومات والتوعية والتعريف بالمكان الجديد للفرد وكذا نظمه وقوانينه بينما الإرشاد يكون كوسيلة وقائية علاجية تتطلب التشخيص والتدريب والكفاءة ومن هنا يصبح التوجيه عملية سابقة للإرشاد والتوجيه.(رسمية عليخليل، 04:1968).

- يتضمن التوجيه النفسي الأسس والنظريات العامة والبرامج وإعداد المسؤولين عن عملية الإرشاد بينما يمثل الإرشاد النفسي الجزئي العملي والتطبيقي لميدان التوجيه (جودت عزت عبد الهادي، سعيد حسني العزة، 15:1999).

- إن الإرشاد النفسي يتطلب مرشدين متخصصين ومدربين وكفاءات ومهارات عالية تمكنه من القيام بالعملية الإرشادية على أتم وجه على عكس التوجيه الذي يستطيع أن يقوم به المدرس سواء لمفرده أو مع أولياء وعمال المؤسسة التربوية إذا كان التوجيه مدرسياً أو مدير مصنع أو مسيراً للموارد البشرية إذا كان التوجيه مهني (رسمية علي خليل، 04:1968).

- التوجيه النفسي يكون أكثر في المدرسة والأسرة والمهنة يركز على تقديم المعلومات والخدمات بهدف تحقيق التوافق المهني بينما الإرشاد وسائل متعددة كالملاحظة والمقابلة والاختبارات النفسية ميدانية تكون في غرفة الإرشاد في المدرسة والعيادات النفسية ومراكز الإرشاد (كاملة الفرخ شعبان، عبد الجابرتيم، 13:1999).

وفي نفس السياق لابأس أن نشير إلى العلاقة أو الفرق بين خدمات الإرشاد النفسي، وخدمات التوجيه المهني والتربوي.

4- الفرق بين الارشاد النفسي و المهني و التربوي:

وتنصب خدمات التوجيه المهني والتربوي على مساعدة الفرد على دراسة المشكلة التي تواجهه سواء كانت تربوية، كاختيار نوع الدراسة المناسبة، أو التغلب على صعوبة في تحصيل مادة دراسية، أو مشكلة تتعلق بالأداء في الامتحانات أو مشكلة مهنية كاختيار العمل المناسب أو المهنة المناسبة، والمساعدة هنا تتمثل في مساعدة الفرد على تحليل عناصر المشكلة وتوفير المعلومات التي تتصل بها المعلومات الخاصة بوضع المهنة أو العمل في المجتمع، كما توفر خدمة التوجيه التربوي المعلومات الخاصة بقرارات الفرد واستعداداته وميوله، وتنظيم هذه المعلومات كلها معا والخروج من ذلك بحلول أو توجهات .

وعلى الفرد أن يختار منها الحل الذي يراه مناسباً لظروفه، أي أن اهتمام التوجيه التربوي والمهني ينصب على المشكلة وليس على الفرد، والمشكلة هنا في التوجيه التربوي والمهني ليس لها صبغة انفعالية حادة.

وما ينقص الفرد هنا هو قلة المعلومات والمعرفة والنضج بالدرجة الأولى، بعكس ما هو قائم في خدمات الإرشاد النفسي الذي تنصب جهوده على الفرد وليس على

المشكلة، باعتبار أن الفرد في حاجة إلى تغيير في اتجاهاته وقيمه ومشاعره وأساليب تفكيره.

فالمشكلة في الإرشاد النفسي تتمثل في الفرد ذاته ،أما في التوجيه التربوي والمهني فالمشكلة خارج الفرد وتتمثل فيما يواجهه من المواقف وعليه أن يختار ما يناسبه من بدائل متاحة، ومع التطورات الاقتصادية والاجتماعية في بداية القرن العشرين وتعقد الآلة الصناعية، تعددت المهن وكثرت ولم يعد من السهل اختيار المهنة فضلاً عن النجاح فيها.

وقد أوجب ذلك ضرورة ظهور الخدمة الإرشادية في مجال اختيار المهنة وزادت أهمية هذه الخدمة، وأصبحت كما عبر عن ذلك "نورس" Norris ضرورة للحفاظ على المجتمع نفسه".

قائمة المراجع المعتمدة:

- 1- جودت عزت عبد الهادي، سعيد حسني العزة(1999)، مبادئ التوجيه والارشاد النفسي، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.
- 2- طه عبد العظيم حسين(2004)، الارشاد النفسي: النظرية، التطبيق، التكنولوجيا، دار الفكر، الطبعة الأولى.
- 3- كاملة الفرخ شعبان، عبد الجابر تيم (1999)، مبادئ التوجيه والارشاد النفسي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان.
- 4- عبد الرحمن العيسوي(2005)، فن القياس النفسي، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- 5- رسمية علي خليل (1968)، الارشاد النفسي، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة.

6- Maurice Reuchlin(1978), l'orientation scolaire et professionnelle, presses universitaires de France.